الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكرداسي بعابدين — القاهرة — تليفون رقم : [illegible]

العدد ٢١٦ — الثلاثاء ١١ من صفر سنة ١٣٦٢ — ١٦ من فبراير سنة ١٩٤٣ — السنة الخامسة

فهرس العدد

أثر الفرد في الحياة الاجتماعية

استعرضنا في الأحاديث السابقة تطور الحياة الاجتماعية ، وأهم الظواهر البارزة فيها ، وأتينا على الفوارق الشاسعة بين طبقات الشعب وما تتعرض له الأغلبية الساحقة من السكان ، وهم جمهور الزراع ، والمشتغلون بالصناعة والتجارة ، المتعطلون منهم أو العمال سواء من الناحية المادية أو من الناحية العقلية ، وسواء إذا مارسوا أعمالهم أو إذا ما اضطرتهم ظروف الحياة إلى البطالة .

وقد خلص لنا أن هناك وسائل كثيرة تتعدد بتعدد نواحي الحياة الاجتماعية تساعد على تحسينها ورفع شأنها .

وفي مقدمة هذه الوسائل ما تبذله الحكومة ، سواء بالعمل على استحداث نظم جديدة ، أو وضع تشريعات اجتماعية .

ولكن هناك وسائل فعالة أبعد أثراً وأعم نفعاً وهي المحاولات التي يقوم بها أفراد الشعب في سبيل الإصلاح الاجتماعي .

لأن الحياة الاجتماعية للأفراد هي في تدرجها الحياة الفردية للفرد ، ثم الحياة العائلية للأسرة ، ثم الحياة الطائفية لأي جماعة من الجماعات ، أو هيئة من الهيئات ، وأخيراً تتألف من كل هذا ، الحياة الاجتماعية العامة لجميع أفراد الشعب .

فإذا جاز لنا أن نصور جهود الدولة ، وجهود الأفراد إزاء الحياة الاجتماعية فلنتصور أن مجموع هذه الجهود تكوّن شكلاً هرمياً مثلث الأضلاع قاعدته

الأعمال التي يقوم بها الأفراد ، ويقوم بها المواطنون جميعاً ، وفي نهايته الأعمال التي تؤديها الدولة ، إذ أنها تتوج سائر الجهود .

ولا نعني في هذا المقام ما يبذله الأفراد وينتظرون من وراء ذلك إلى منفعة ذاتية خاصة ، ويكفيهم إرضاء أنفسهم وإشباع رغباتهم ، ولا يحفلون بأثر جهودهم في غيرهم ، أو بحكم مواطنيهم عليها ، فأمثال هذه الجهود ذات الطابع الأناني لا يمكن بحال أن تؤدي إلى حياة اجتماعية صالحة ؛ وطبعاً يتطلب هذا أن يتأصل في نفوس الأفراد اعتقاد جازم بأن لكل منهم أثراً بالغاً في حياة الجماعة ، وأن ما يقوم به من الأعمال يعود على نفسه أولا ولكن يعود على غيره أخيراً ، وأن هذا هو القياس الحقيقي له بين مواطنيه .

ويستوي في هذا الأغنياء والفقراء ، والعمال وأصحاب الأعمال ، والزارعون وأصحاب [illegible] فقط في القدر الذي يستطيع كل منهم [illegible] واستعداده وظروفه ، وسيترتب على هذا الإدراك الأعم بين الجماعة هؤلاء الأفراد المتواكلين الذين يستهينون بأنفسهم ، ويشعرون بضآلة شأنهم فيعيشون في هذه الحياة الدنيا ، ويبارحونها وكأنهم لم يروها .

كذلك سيتوارى فريق من الأفراد يصور له تزلفه أو جاهه أنه في عزلة عن مواطنيه ، همه من حياته مطامع يصل إليها ، ومآرب يحصل عليها ؛ تتطلب الحياة الاجتماعية إذن أن يشعر كل فرد بأن عليه للمجتمع ديناً يجب أن يؤديه ، وحساباً يجب أن يقدمه .

لقد حبا الله عباده نعماً متعددة ، وخص بعضهم بالمال ، وبعضهم بالعلم ، وبعضهم بالجاه ، وآثر بعضهم على بعض بهذه الهبات ، فما على كل ذي نعمة إلا أن يزكي منها ، ويتنازل عن جزء منها ، إذ أن للمال زكاة ، وللعلم زكاة ، وللجاه زكاة .

لقد انتهى تطور الحياة الاجتماعية بوجود طوائف من الناس قست عليهم ظروف الحياة ، وتركتهم بين طفل مشرد ، أو عاجز عن العمل ، أو مريض لا يعرف طريقه إلى العلاج .

ولقد قامت الحكومة وقادة الرأي بإعداد النظم والمنشآت التي تكفل إيواء المشردين ، وإعانة العاجزين وعلاج المرضى ، فأسست الجمعيات الخيرية ، والملاجئ والمستوصفات ، وصناديق الإعانة ، ومكاتب المساعدات ، ولكن ما الذي يضمن لهذه المنشآت الازدهار والانتشار ، وما الذي يساعدها على أن تؤدي مهمتها على أتم وجه وأكمله ؟

لا شك أن المال هو الدعامة لكل ما تقدم ، ولا سيما وقد أصبحت أعمال البر ضرورة اجتماعية يتعدى أثرها إلى [illegible] المجتمع ، إذ أنه قد انقضى العهد الذي كان [illegible] والفاخرة ، ولا يرمي الكريم [illegible] المحسن إليه ، وأن يسد بكرمه حاجة عارضة ، وصارت أعمال البر والإحسان هي الأعمال المنظمة المستقرة ذات الأثر العميم المستمر .

وهذه لا تكفي أن يقضيها أريحية فردية عارضة ، أو نفحة من جواد لا يعود إليها مرة أخرى ، إذ أن الجهات المنظمة من أعمال البر الاجتماعي لا تقوم إلا على إحسان منظم يشترك فيه أكبر عدد ممكن من الأفراد كل على قدر طاقته ، يساهمون في المؤسسات المتعددة ويتعاونون في تقوية صناديق الإعانة ، ومكاتب المساعدات الاجتماعية ، ويتسابقون إلى الأسواق والحفلات الخيرية ؛ فيصبح حب الخير عادة متأصلة في نفوسهم ، ويصبح المعروف والإحسان عملاً يقومون به لوجه الله ، ولصالح المجتمع .

هذا أثر الفرد في المجتمع ، إذا كان لديه فضلة من المال .

أما أثره فى الحياة الاجتماعية ، إذا كان فى شىء من العلم ، فلا يقل شأناً من أثره السابق ، وإنما العلم زكاة كزكاة المال تماماً ، إذ أن من واجب المتعلم أن يكون نافعاً بعلمه ، وأن يرد بعضه إلى البيئة التى أنشأته .

وتجب زكاة العلم على المتعلمين جميعاً ، سواء فى ذلك العامل للفقر ، أو طالب المعاهد الدينية ، أو طالب المعاهد العليا ، أو حملة الشهادات المدرسية على اختلاف درجاتها وأنواعها .

كل هؤلاء عليهم أن يشعروا أن للمجتمع حقاً فيما يعلمون ، وأنه ينتظر منهم أن يؤدوا إليه هذا الحق على أى صورة من الصور التى يستلزمها النشاط الاجتماعى .

ومن حسن الحظ أن الوسائل التى تساعد على تحسين الحياة الاجتماعية ، وتحتاج إلى جهود الأفراد المتعلمين لا تقع تحت حصر .

فقد يكون من الممكن أن [illegible] التى زاولها لتحسين الحياة الاجتماعية [illegible] محدودة بجغرافية معينة وبعقد معين من الوطن الكبير [illegible]

أما نواحى النشاط الاجتماعى العامة ، فلا تعد ، وإذ أنها تتسع للأفراد جميعاً ما دامت بين جوانحهم نفوس تشعر بالواجب عليها نحو المجتمع .

من الميسور أن توضع نظم ، وأن تسن قوانين لإنشاء اتفاقات بين العمال ، أو لإيجاد نظام التعاون ، أو لتشجيع إفتتاح معاهد لمحو الأمية ، أو للدراسات الاجتماعية ؛ ولكن ليس من الميسور أن تتغلغل هذه النظم فى نفوس الشعب ، وأن تتسرب مبادئها إلى عقائد أفراده ، إلا إذا وطن المتعلمون من الأفراد أنفسهم على الاستفادة من هذه الجهود الرسمية ، والتوسع فى استخدامها ، والقياس عليها ، بل واستحداث أكثر منها .

على أن يقوم كل فرد بما يتيسر له فى هذا الواجب القومى ، حسبة لوجه الله ، ولوجه الوطن ، شأنه فى ذلك شأن الجندى الذى قام بجهاد يمن عليه الذاتية ، فلا يرجو من هذا الولاء جزاء ولا شكورا .

إذ إن الخدمات الاجتماعية بطبيعتها ، وبالقياس إلى ما حدث فى الدول التى انتشرت فيها لا تنهض إلا على أكتاف جنود مجهولين يؤثرون العمل الصامت ، ولا يتطلعون من وراء جهودهم إلا نجاح رسالتهم .

لذلك أطلق عليهم جيش الخلاص ، لأنهم يعملون على تخليص مواطنيهم من البؤس إلى السعادة ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن التفكك والانحلال إلى التآزر والتعاون ، ومن الضلال إلى الهدى ، ولا يتطلب هذا الجيش إلى سلاحاً واحداً ، هو الإيمان الصادق بخدمة المجتمع والتفانى فى الوصول إلى هذا الغرض .

[illegible] المتعلمون فى مصر هذا السلاح ، على اختلاف طبقاتهم و[illegible] ، عمالا ، وطلبة ، وحائزين على مؤهلات [illegible] لا يقلل من شعور فرد ، وجردوا [illegible] ومحاربة البدع والعادات السيئة ، [illegible] والدعاية للمشاريع والجمعيات القومية النافعة ، والمشروعات الصالحة ، واتخذوا من مجتمعاتهم تكتلات يعملون فيها عشيتهم ، ومن محافلهم ومن حاناتهم مواقع حاجة يقضون فيها على ما فى هذا المجتمع من شرور وآثام ، لنالت الحياة الاجتماعية على سواعدهم فى سنوات ما لم تنله على هذا السير الوئيد البطئ فى أجيال .

أما صاحب الجاه من الأفراد فزكاته أن يسبغ شيئاً من جاهه العريض على نواحى النشاط الاجتماعى التى يهيئه استعداده أو ميوله لها . وألا يقعد به جاهه عن الدخول فى ميدان الخدمة الاجتماعية السامية ، وألا يكفيه من جاهه ما يستمتع به فى محله الرسمى ، أو ما يشعر به فى المحافل والمجتمعات من الصدارة والتكريم .

وما أحوج المؤسسات الاجتماعية والمشروعات القومية إلى مكانة ذوى الجاه حتى تكسبها ثقة وتحمل الناس على

خطرات في اللغة

(١) لاحظت أن اللغة تؤدي معانيها في دقة وإحكام في مواد العلوم، كالرياضة، والطبيعة، والكيمياء، ومصطلحاتها مضبوطة قل أن يعتريها غموض أو إبهام. وقريب من ذلك التاريخ، فاللغة قادرة على أداء معانيه وحمل رسالته أداء حسناً، وإن لم تبلغ في ذلك مبلغ العلم، فإذا نحن جاوزنا ذلك إلى الفلسفة والأدب رأينا اللغة مسكينة عاجزة عن أداء المعاني في وضوح وضبط وإحكام حتى المصطلحات، من الصعب تعريفها وضبطها، فما أصعب أن تعرّف «الوجود»، و«الحقيقة»، و«ما وراء الطبيعة»، وما إلى ذلك، وما أصعب ما تعرّف «الشعر» و«الأدب» و«الخيال» ونحوها، وكذلك في فروع الفلسفة والأدب، فمن [illegible] والجميل»، و«الفضيلة والرذيلة» [illegible] و«العدل والحرية»؛ ومن [illegible] «القصة والرواية والتمثيل»؛ وما أكثر ما يقع الناس في الجدل والحجاج، لأن كلاً يتكلم وفي ذهنه معنى للشيء غير ما عند الآخر، ولو اتفقوا في التحديد لاتفقوا على النتائج ولا أنسى حادثة رويت لي وهو أنه من زمان أرادت حكومة العراق التعاقد مع الحكومة المصرية بالمراسلة والمطالبات، فكان الاتفاق مستحيلاً لأن كلتا الحكومتين كان لها معنى خاص في مصطلحاتها لا تفهمه الأخرى، ولم يتم الاتفاق حتى تمت المشافهة والاتفاق على معاني المصطلحات، وحضرت محاضرة لفاضل عراقي في التربية، فدار جدل حول الموضوع تبين أن سببه الاختلاف في المصطلحات، فهم يطلقون اسم «المدارس الداخلية» على غير ما نطلق، ويسمون «الفصل» ما نسميه نحن بالسنة، ويسمون الترفيعات ما نسميه نحن بالترقيات، ويسمون «مدارس الحضانة» ما نسميه نحن رياض الأطفال، وهكذا.

(٢) من أسباب وقوع الناس في الخطأ اللغوي عدم دقتهم في الاصطلاح، فهناك عقول تستنتج من الجملة أكثر مما يلزم، وهناك عقول تستنتج منها أقل مما يلزم، وكلاهما خطأ — إذا قلت: إن «الغول مرعب» [illegible] أقول: إن الغول موجود، فقد [illegible] أكثر مما يلزم، لأن الخيالي قد يرعب [illegible] ولو لم يكن الشيء موجوداً، وإذا حدثتك عن فرس بأنه أشهب، فاستنتجت أني أقول إنه موجود، كان استنتاجك صحيحاً؛ ومن الناس من لا يفرق بين القضيتين — وليس الأمر مقصوراً على الجمل بل دلالة الألفاظ على المعاني تختلف عند الاختلاف بين

الإقبال عليها وعلى الأخذ بها.

بذلك يصون ذوو الجاه جاههم، فكما يضاعف الله للمتصدقين أموالهم فيرد إليهم الحسنة عشرة أمثالها، كذلك ذوو الجاه، إذا ما منحوا شيئاً من جاههم للخدمة الاجتماعية العامة مكّن الله لهم كرامتهم، وأعلى اسمهم، وجعل خير أثرهم على أيديهم.

والفرد صاحب الجاه أثر آخر في الحياة الاجتماعية، بجانب الأثر الذي يحدثه من مساهمته في النشاط الاجتماعي، وذلك إذا ما كان يتخذ من نفسه مثلاً صالحاً لمواطنيه، ينأى بنفسه عن مواطن الزلل، ويقربها إلى مواطن الكمال، يطابق بين أقواله وأفعاله، ولا يقوم بدعوة خيرة إلا ويكون هو البادئ بها، فيصبح له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

هذه هي آثار الفرد في الحياة الاجتماعية إذا ساهم فيها بماله، أو بعلمه، أو بجاهه، قد أجملناها؛ وربما عدنا إلى تفصيل ما أجملناه.

إبراهيم الغطريفي

الأشخاص بحسب مدنيتهم وثقافتهم وعقليتهم ، فإذا قلت : « كرسي » لم يكن معناه عند الفلاح القروي كمعناه عند المدني المتحضر ، وكذلك الشأن في كلمة « بيت » ، و « دولاب » ، و « ضريبة » ، وإذا قلت : « علم الحساب » فمفهومها عند الصانع الغر شيئاً بسيطاً ليس كالذي يفهمه العالم بالرياضيات ، وهكذا ، وهذا ما يجعل الناس إذا اختلفت مدنياتهم وعقلياتهم وثقافتهم لا يتفاهمون تفاهماً صحيحاً . ومن أسباب ذلك عدم دلالة الألفاظ على معان واحدة في الرءوس المختلفة ، ولا تصدق أن معاجم اللغة تستطيع أن تشرح دلالة الألفاظ شرحاً تاماً صحيحاً ، فلكل كلمة هالة غير معناها الأصلي يعجز المعجم عن شرحها ، فدنيا الأطفال التي تعين على شرح الألفاظ غير دنيا الرجال ، ودنيا الفلاح غير دنيا المتمدن ، ودنيا الجاهل غير دنيا العالم ، وكل يفسر الألفاظ حسب دنياه .

(٣) يتصل بهذا أن كل لفظ من ألفاظ اللغة يوحي بأشياء تختلف باختلاف الأشخاص حسب بيئتهم وتجاربهم في الحياة وغير ذلك ، فكلمة أبيض توحي إلى الفلاح بالقطن ، وقد توحي إلى الطفل بالسكر ، وقد توحي إلى سكان البلاد الباردة بالثلج ؛ وكلمة « وزير » توحي إلى الشرقيين بمعان غير ما توحي به عند الغربيين ، وكلمة « العيد » توحي إلى الأطفال بمعنى الثياب الجديدة والأراجيح ، وعند أطفال آخرين بالهدايا تهدى إليهم ، وعند الرجال بالزيارات والتهنئات الخ ؛ وكلمة « البرلمان » و « نظام الحكم » توحي بمعان مختلفة في الأفراد المختلفة والأمم المختلفة ، وهذا سبب آخر من أسباب الاختلاف بين الناس في الإفهام والفهم ، فوحي الألفاظ عند الناس يختلف اختلافاً كبيراً .

بل قد يكون اللفظ يوحي بمعنى عند الناس في عصر لارتباطه بحادثة أو نادرة ، فإذا نسيت الحادثة انقطع وحي اللفظ ، فقد حين كانت كلمة « تعديل الأساس » و « ردم البرك » و « الحكم الصالح » تستثير ما تستثير لإيحائها بمعان خاصة في ظروف خاصة ، فإذا زال الإيحاء زال التأثير — ولذلك أعتقد أنا فقدنا كثيراً من كتب الجاحظ وقطع الأدب الاجتماعي ، لأن بعض ألفاظها وجملها كانت توحي بمعان معروفة ، فلما تقادم الزمن ضاعت فبطل سحرها — إن شئت فاقرأ رسالة التربيع والتدوير للجاحظ ، وهي تدور حول السخرية من « أحمد بن عبد الوهاب » تشعر بغموض في بعض الجمل والإشارات وسبب غموضها أنها كانت إشارات إلى أشياء مفهومة في زمنها ، ثم انقطع وحيها فغمض معناها .

(٤) أما وظيفة اللغة ؟ يخطئ من يظن أن اللغة تؤدي غرضاً واحداً ، وهو نقل المعنى من ذهن إلى ذهن ؛ إنما [illegible] أغراض كثيرة قد يصعب حصرها ، وقد يستغرب [illegible] أغراضها أحياناً أنها تستعمل للتخدير [illegible] كتعزيمات السحرة مثل ألفاظ « شمهورش » ، و « جلجلوت » ، ونحو ذلك ، فهي لا تؤدي معنى ، ولكن تخدر الأعصاب بتراتيبها وتأليف حروفها ، ولذلك لا يصح أن نحاول كثيراً فهم سجع الكهان فهماً تاماً ، فهي لم يقصد منها الإفهام التام بقدر ما قصد منها التخدير ، وللمعاني الغامضة ، وأحياناً يقصد بالألفاظ مجرد ما توحيه من نغمات موسيقية لها أثرها النفسي كأثر الموسيقى — ولذلك لم تكن تخلو الأدعية الدينية إذا تليت في البلاد بلغة أجنبية من أثر قد يكون بالغاً ، لأن الألفاظ توحي بمعان سحرية موسيقية ، وإن لم تفهم معانيها الأصلية ؛ وهذه لغة الإنسان الأول كانت صيحات متشابهة اللفظ ، ولكنها أحياناً تدل على الخوف وأحياناً على الغضب ، وأحياناً على طلب النجدة ، وأحياناً تعني التحذير من خطر وإنما تختلف دلالتها باختلاف موسيقاها

وكذلك كان الشعر في أول أمره ، ملحق المعنى ، دالا بالموسيقى — فليس نقل المعنى من ذهن إلى ذهن هو الغرض الوحيد ، إلا في الكتب التعليمية في العلوم ، والحوادث المحلية في الجرائد ، وجدول الضرب ، وقانون اللوغاريتم ، ونحو ذلك ، مما ليس فيه اتصال ما بين المؤلف وعواطف القارئ .

(٥) للغة أساليب مختلفة في أداء المعنى الواحد ؛ فهناك دلالة تصريحية ، وهناك دلالة تضمينية ، فإذا أراد أحد أن يقترض منك ، فقلت له : « لا أقرضك » فهذه دلالة تصريحية ، وإذا قلت له : « ليس عندي نقود » أو « إني مدين » أو « قد كنت فكرت أن أطلب منك ما تطلب مني » ، فهذه كلها تدل على عدم الإقراض طريق التضمين — واللغة ترقى من طريق الدلالة التضمينية أكثر مما ترقى من طريق الدلالة التصريحية ، وكلما [illegible] ذوق الفرد أو الأمة شعر أن ما [illegible] التصريح ، والدلالة الضمنية لا الدلالة التصريحية .

وهذا من أهم الفروق بين لغة العلم ولغة الأدب ، فلغة العلم أقرب ما تكون إلى الدلالة التصريحية ، ولغة الأدب تسودها الدلالة التضمينية — لغة المداولات الجبرية وشرح النظريات الهندسية ، وقوانين الطبيعة والكيمياء لغة تصريحية ، ولغة الشعر لغة تضمينية ، والمجازات والاستعارات والتشبيهات والكنايات كلها دلالات تضمينية .

وقد دل البحث النفسي على أن استمالة النفس من طريق الدلالات التضمينية أقوى وأفعل من الدلالة التصريحية ، ولذلك كانت الدلالة التضمينية لغة الخطباء والأدباء والشعراء والوعاظ ورجال السياسة ورجال الدين ، فالقصص ذات المغزى ، والعبرة بأخبار الأولين ، والأساطير الرمزية كأساطير اليونان ، وتحريك الوطنية بالشواهد والأمثال ، وتحميس الأمة للمشروعات الاقتصادية والاجتماعية ، ونداء المصلحين ؛ كل هذه تعتمد على الدلالة التضمينية أكثر مما تعتمد على الدلالة التصريحية لهذا السبب النفسي ، وهو أن النفس أكثر استمالة من هذا الطريق ، والسبب في هذا على ما يظهر أن الأوامر والنواهي الصريحة تشعر بالأمور والنهي بالضعة ، ولذلك كان أقسى أنواع الزجر الأمر الصريح ، « كاكمش ، واخرج ، واذهب » ، مصحوبة بالنغمة التي تدل على تعالي الآمر ، أما في الدلالة التضمينية فقد سمح المتكلم للمخاطب باستعمال عقله في الاستنتاج وفهم الأمر من طريق خفي ، فإذا هو استنتج الأمر فكأنما هو الآمر نفسه ، وهو إذا أمر نفسه لم تكن هناك غضاضة عليه ؛ وهكذا وضح لنا ما العلاقة القوية بين اللغة والتفكير والخيال والإرادة .

ولنكتف اليوم بهذا القدر من الخطرات اللغوية ، [illegible] إن شاء الله .

أحمد أمين

صاحب المجلة

رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول

محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك لسنة [illegible]

٤٥ في مصر والسودان
٣٧/٥ للطلبة ومعلمي الإلزام
٦٠ في الممالك الداخلة ضمن اتحاد البريد
٧٥ في الممالك الخارجة عن اتحاد البريد

ثمن العدد ١٥ مليما

من منبر الشرق :

— ١ —

أحسن ما قرأت :

من حديث حنين بن إسحق

لعلك يا عزيزي تذكر ذلك الباب الأسبوعي اللطيف الذي كان يحيينا فيه على صفحات «الثقافة» الأستاذ الراوية أحمد الزين بمختارات من عيون الشعر العربي بعنوان «أحسن ما قرأت». وكم شوقتني هذه المختارات الرائعة في كثير من الأحوال إلى الاستزادة من آثار شعراء العرب، ولولاها لما كنت أهتم كثيراً بالاتصال بهم.

جال في قلبي أن أطرق طرق هذا [illegible] غير مقتصر هذه المرة على الشعر وحده، لأني [illegible] اقتنعت منذ حين بأن في الآداب العربية من النثر الرفيع ما هو أجمل وأروع من شعر الشعراء.

وعندما وصلني خطابك الذي قلت فيه أن أقص عليّ شيئاً عن هذا المترجم العظيم، أعني حنين بن إسحق، وعن تلك «العذوبة» التي وصف بها أسلوبه، على ما أشرت إليه في رسالتك السابقة:

وقلت: إن جهد المترجمين من مدرسة حنين بن إسحق لإحياء تراث القدماء في رونق العربية الذي يدعونا نحن أبناء القرن العشرين إلى أن نقفو أثرهم، ونحتذي مثالهم، إذ كنا اليوم — في عصر نهضة العربية — أمام نفس المسائل التي أعنت القوم أنفسهم في سبيلها، ونجحوا في حلها، فقد وجدوا في تمرين العربية الخالدة مادة كافية للتعبير عن جميع ما دعا إليه العصر من المصطلح العلمي والفلسفي، مترجمين اللفظ اليوناني بصنوه العربي الذي هو مرآته الصادقة، حتى أصبحت اللغة العربية البدوية الأصيلة أداة ثقافية لا تخذل من يستعين بها في أي فن من الفنون، وساوت — أو فاقت — أختها اللاتينية، لغة الغرب الثقافية في القرون الوسطى.

وقلت: أما نحن اليوم فنجهد مثل جهدهم، ونكافح مثل كفاحهم للتعبير عن الثقافة الحديثة باللغة العربية، ولكن ما أبعدنا عنهم حظاً وتوفيقاً!

فعرفني شخصية الرجل، وطرق مناهجه في البحث، ودستوره في النقل، لعلنا نستفيد منه في حل المشكلات التي نرتبك فيها.

فعندئذ عزمت على أن أورد لك نخباً مما قرأته من [illegible] هذا الرجل، عساك أن تستحسنها وتقول معي إنه كان، لا [illegible] فحسب، بل أديباً مطبوعاً أيضاً!

وعساك [illegible] أنت — بعد وقوفك على هذه النبذ — [illegible] في البحث عن أسرار جاذبية حنين ومنهجه في الترجمة [illegible] جعله موضوعاً لبحث جدّي، بعد أن تدرس شيئاً من اليونانية والسريانية والجاحظية على السواء، إذ لا بد من جمع تلك الأطراف الثلاثة لمن يقصد إلى الكشف عن غور هذا الرجل.

أوردت لك في مقالي السابق قطعة من رسالته إلى عليّ بن يحيى المنجم في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس الطبيب اليوناني، وهذه الرسالة المشحونة بالمعالم الدقيقة كأنها تقرير موضوعي صادق عما عمله حنين بن إسحق وتلامذته — إسحق بن حنين، وحبيش، وعيسى بن يحيى وغيرهم — في ترجمة كتب الطب اليوناني إلى اللغة العربية وبرنامج لما بقي من العمل حتى تخرج كل الكتب اليونانية في هذا الفن إلى العربية؛ وهاك فصلاً آخر من تلك الرسالة[1] يدلك على ما بذل حنين من الجهد في تحصيل

(١) طبعة Bergsträsser ليبزيغ ١٩٢٥، ص ٤٧.

على مخطوطات يونانية، وفي مقابلتها وتصحيحها، يقول حنين عن كتاب «البرهان» لجالينوس [1]:

«ولم يقع إلى هذه الغاية في يد أحد من أهل دهرنا لكتاب البرهان نسخة تامة باليونانية، على أن جبريل [2] قد كان عني بطلبه عناية شديدة، وطلبته أنا غاية الطلب، وجلت في طلبه بلاد الجزيرة والشام كلها ومصر، إلى أن بلغت الإسكندرية، فلم أجد منه شيئاً إلا بدمشق نحواً من نصفه؛ إلا أنها مقالات غير متوالية ولا تامة، وقد كان جبريل أيضاً وجد منه مقالات ليست كلها المقالات التي وجدت بأعيانها، وترجم له أيوب [3] ما وجد. وأما أنا فلم تطب نفسي إلا باستكمال قراءتها، لما هي عليه من النقصان والاختلال، وللطمع وتشوق النفس إلى وجود تمام هذا الكتاب. ثم إني ترجمت ما وجدت إلى السريانية، وهو جزء يسير من المقالة الثانية، وأكثر المقالة الثالثة، ونحو نصف المقالة الرابعة من أولها، والمقالة التاسعة خلا شيئاً من أولها فإنه سقط، وأما سائر المقالات الأخر فوجدت إلى آخر الكتاب، خلا المقالة الخامسة عشرة فإن في آخرها نقصاناً».

وليس دليل أوضح على أمانة حنين إزاء النصوص القديمة مما نقرأه من تعليقات على هامش ترجمته لكتاب جالينوس «في الأسماء الطبية» [4] الذي يقول فيه: «إن جالينوس من بعد ما قال هذا القول أتبعه بتشنيع كلام أرسطوفانس [1]، إلا أن النسخة اليونانية التي منها ترجمت هذا الكتاب إلى السرياني كان فيها من الخطأ والسقط مقدار لم يكن يمكنني معه أن أخلص معانيها، ولولا أني قد ألفت وتعودت فهم كلام جالينوس اليونانية ووقفت على معانيه من كتبه الأخرى، فأما كلام أرسطوفانس فإني لم آلفه ولم أتعوده، فلهذا السبب لم يسهل علي تخليصه وتركته ... ورأيت أن لا أشغل نفسي به وأن أتخطاه إلى ما هو أنفع منه».

ولكن لا تظن أن الرجل يكتب دائماً بمثل هذا الأسلوب البسيط الذي لا يعنيه فيه إلا تقرير الحقائق فحسب، بل كثيراً ما يرتفع أسلوبه إلى مستوى نحس معه أنه كان قد تتلمذ على الجاحظ الذي عاصره، فاسمع إلى ما كتبه في مآثر سقراط الحكيم [2]: «سقراطيس أبو الفلاسفة القدماء، وهو حكيم الحكماء، من عنده وردت الحكمة، ومنه صدرت الحكمة، له الأمثال السائرة، والفوائد الناضرة؛ كلامه في القلوب كنسيم الرياح عند الهبوب، وكالراحة للمكروب، وأثره في العقول والخواطر، كأثر الماء في الهواجر». أفكان أن يتخير كلمات أوضح عن شعور من يرتفع مع أفلاطون كمرشد إلى ميادين التفكير الطليق؟ ولا ينقص هذا الأسلوب عن الجاحظية إلا ما يظهر في هذه من مزيج الهزل بالجد.

ولكن هناك أروع من هذا وأكثر تحريكاً لأوتار القلب، ولو استطعت لأوردت لك تلك الرسالة التي ألقيها في نضرتها وبراءتها من تهم حاسديه، وأرجوك أن تقرأها بتمامها، كما أرجو أن تقرأ سائر ما سرده عن ابن أبي أصيبعة

(١) هو كتاب من كتب جالينوس المنطقية في علم المنطق ومناهج البحث العلمي، احتوى على ١٥ مقالة ضاعت جميعاً في الأصل اليوناني، ويتضح من رسالة حنين أنه عثر على جزء كبير منه وترجمه إلى العربية؟ ولعل ترجمة حنين هذه مخطوطة بعد في بعض المكاتب.

(٢) أي جبريل بن بختيشوع طبيب الواثق والمتوكل.

(٣) الرهاوي: من المترجمين المعروفين في عصر المأمون.

(٤) نشره ماير هوف — شاخت، برلين ١٩٣١، ص ١٢ — ١٨.

(١) Aristophanes كاتب المسرحية الهزلي اليوناني المشهور، عاش في القرن الرابع قبل الميلاد.

(٢) من تلخيص كتاب صوان الحكمة المنسوب لأبي سليمان المنطقي السجستاني، مخطوطة استانبول (داماد زاده ١٤٠٨).

في ترجمته[1]:

« إنه لحقني من أصدقائي ومعاشريَّ الكافرين بنعمتي الجاحدين لحقيَّ الظالمين لي المتعدين عليَّ من المحن والمصائب والشرور ما منعني من النوم وأسهر عيني وشغلني عن مهماتي . وكل ذلك من الحسد لي على علمي وما وهبه الله عز وجل لي من علوّ المرتبة على أهل زماني . وأكثر أولئك أهلي وأقربائي فإنهم أول شرورهم وابتداء محني ، ثم من بعدهم الذين علمتهم وقرأت إليهم علوم الفاضل جالينوس فكافأوني مرض الخائبين مساوئَ بحسب ما أوجبته طباعهم ونسبوا لي إلى أقبح ما يكون من إذاعة أوحش الأخبار وكتمان جليل الأسرار .... وكيف لا أتشغل ويكثر غمي [illegible] في مجالس ذوي المراتب ، ويبذل في قتلي الأموال ، ويكرم من يشتمني [illegible] دهرًا من أيامي أكل كل ذلك [illegible] منهم ولا جناية ، شكيتهم لما رأوني [illegible] بالعلم والعمل ونقل إليهم العلوم الفاخرة [illegible] التي لا يحسنونها ، ولا يهتدون إليها ، ولا يعرفون شيئاً منها في نهاية ما يكون من حسن العبارة والفصاحة ، ولا نقص فيها ولا زلل ، ولا ميل لأحد من الملل ، ولا استغلاق ولا لحن باعتبار أصحاب البلاغة من العرب الذين يقومون بمعرفة وجوه النحو والغريب ولا يعثرون على سيئة ولا شكلة ، ولا معنى لكن بأعذب ما يكون من اللفظ وأقربه إلى الفهم ، يسمعه من ليس صناعته الطب ولا يعرف شيئاً من طرقات الفلسفة ، ولا ينتحل ديانة النصرانية وكل الملل ، فيستحسنه ويعرف قدره حتى إنهم قد يتقرمضون على ما كان من الذي أنقل الأموال الكثيرة إذ كانوا يستحقون هذا النقل على نقل كل من نقل . وأنا ما أقول ولا أفعل ، إلا سادة أهل الأدب وإن اختلفت مللهم ، يحبون لي ما يحبون لأنفسهم ، مكرمون لي يأخذون ما أقدمه بشكر ويجازوني بكل ما يصلون إليه من الجميل ، فأما هؤلاء الأطباء النصارى الذين أكثرهم تعلموا بين يديَّ ، ونشأوا قدامي هم الذين يرومون سفك دمي على أنهم لابد لهم مني . فترة يقولون من هو حنين ؟ إنما هو ناقل لهذه الكتب ! ليأخذ على نقله الأجرة كما يأخذ الصناع الأجرة على صناعتهم ... فهو خادم لأدواتنا وليس هو عاملا بها ، ما له والكلام في صناعة الطب ، ولم يحكم في عللها وأعراضها ، وإنما قصدُه في ذلك التشبه بنا ليقال حنين الطبيب[1] ولا يقال حنين الناقل . والأجود له لو أنه لزم صناعته وأمسك عن ذكر صناعتنا .... فكنت [illegible] سمعت شيئاً من هذا ضاق صدري وهممت أن أقتل [illegible] من الغيظ والزرد . فإن الحسد لم يزل بين الناس [illegible] إن من يعتقد الديانة قد يعلم أن أول حاسد [illegible] في الأرض قابيل في قتله لأخيه هابيل ... »

كم وددتُ أن أشرح لك طرفاً من حياة حنين الغريبة وما لاقاه من المحن ومصادرة كتبه ، والحبس والجلد وصبره على كل هذا صبراً كاد يفوق طاقة البشر ، كان الباعث إليه إغاثة الوطيد بأن عليه أن يخدم معاصريه ومن بعده وينشر بينهم ثقافة الأولين .

پاول كراوس

(1) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج 1 ، ص 191 وما بعدها .

(1) دكتور حنين ! أتذكر ما لاقاه بستور (Pasteur) من خصومه الأطباء ؟

منهج فقه اللغة :

١ - النظم عند الجرجاني

منهج فقه اللغة الذي ندعو إليه ، عارضين آراء الجرجاني كمثل ، لا يتنكر لمعرفة النفس البشرية لأنه يفرق بين تلك المعرفة وقوانين علم النفس ، كما لا يتنكر لروح العلم ، وإن أقصى قوانين العلم .

مثل من يدعون أن قوانين علم النفس تبصرنا بحقيقة النفس الإنسانية ، كمثل من يزعم أنه يستطيع أن يفهم دور شطرنج يلعب أمامه ، لأنه قد تعلم القواعد التي تتحرك بموجبها كل قطعة من قطعه ، ومع أن علمه لا يعدو الحكم على موافقة حركات اللاعب للقواعد أو عدم موافقتها ، وأما لماذا تتحرك ، وإلى أي [illegible] اللاعب الماهر خططه ويتصرف [illegible] يدركه صاحبنا ولو وعى القواعد [illegible] والشطرنج قواعد آلية ، لأنها مواضعة محددة ، وأما النفس البشرية فلا أرى ، بل ولا أحس فيها جبراً إلا أن يتوهمه البعض فيها . وهم لا يخطئون في ذلك فحسب ، بل يأتون ولقد فرغ الباحثون في حقيقة المعرفة بوجه عام من الفطنة ، إلى أن قوانين المادة ذاتها شرطية لا تدرك آثارها إلا إذا توفرت ملابسات لا يمكن استقصاؤها ، وتلك الآثار تتغير بتغير الملابسات ، وكاد الرياضيون (١) أنفسهم يجزمون بأننا لا نستطيع ، وما أظننا نستطيع في المستقبل القريب ، أن ندرك بفضل القوانين العلمية حقائق الأشياء بله النفوس . نعم إننا قد استطعنا أن نستغل العالم المادي بفضل معارفنا العلمية التي تدرك الأشياء في ظواهرها وآثارها الخارجية ، ولكن هذه ليست المعرفة التامة الداخلية ، وأنا لا أريد أن أنزلق إلى سفسطة ما وراء الطبيعة العقيمة ، ولكنني أنظر أمامي الآن فأرى ورقة بيضاء تحدث في نفسي أثراً ما ، كما تحدث في نفس جاري أثراً آخر ، ونحن الاثنان نتفق بلا ريب في تمييز ذلك اللون تمييزاً فعلياً نرمز له باللفظ اللغوي « أبيض » ، فنتفاهم ، ولكن من لي بمعرفة أثره النفسي عند ذلك الجار ، والنفوس عوالم مغلق بعضها دون بعض . وهل المعرفة الحقيقية في مرجعها النهائي إلا معاينة الأشياء في النفوس من آثار . وكيف أدرك تلك الآثار وهي لا ريب مكتنفة في كل نفس بملابسات لا حصر لها ، وأنى لي استقصاء كل ما [illegible] في النفوس من ملابسات . أنا لا أشك في التفاهم مع جاري إلا استناداً إلى التفسير ، فتمييز الأبيض لأنه يختلف عن الأسود أو الأحمر ، ولكن أهذه معرفة حقة ؟ أفيها إدراك لآثارها النفسية بالنفس ؟ [illegible] أن الذين يريدون فهم النفس البشرية بفضل قوانين السيكولوجيا إنما يريدون تشريح فراشة « ميكانيكية بحتة » .

وأنا لا أجهل أنه قد يصاح بي : ولكن هناك التحليل العلمي الذي يرد الألوان إلى عناصرها . وأدرك هذا الاعتراض الذي لا يرهبني في شيء ، لأنني وإن كنت أجل رجال العلم ، وأقدر نتائج أبحاثهم التي مكنتنا من الحياة وجنبتنا الكثير من الآلام ، إلا أنني أنكر الإنكار كله أن يستطيع أن يعيننا على شيء في إدراك حقائق الأشياء . من منا يستطيع أن يزعم أن في مقدوره أن يعرف طعم شراب لم يذقه بمعرفة عناصره الكيماوية ونسبها ؟ من منا يجرؤ أن يدعي أنه يعرف حيواناً لم يره قط بدراسة خلاياه تحت المجهر ؟ من منا يصل إلى تصور جمال لوحة زيتية بقراءة وصف لها في دليل أحد المتاحف ؟ من منا يتوهم أنه سيفهم نفسه بتحليل نفسه ؟ أي قوانين وأي

(١) راجع مثلاً كتاب الرياضي الفيلسوف الشهير هنري بوانكاريه « قيمة العلم » La valeur de la science هذا الذي قرأناه قبل كتابة هذا المقال .

أيمكنك ستبصرني بآلامي وأحلامي ؟!

معرفة النفس البشرية غير قوانين علم النفس ونظريات السيكولوجيا ، وذلك بفرض أننا نحسن فهم تلك القوانين والنظريات ، ونقف بها عندما نستطيعه ، فما بالكم بهذا الوباء الذي تفشى بيننا في السنين الأخيرة ، فأخذنا نرى كتابنا ونقادنا يطبقون تلك النظريات أتوالا أصلح لكل نفس ، فإن ضاقت فلتمزق ، وإن اتسعت فلتشحب . هناك وسيلة سهلة لإدراك الشخصية الروائية أو النموذج البشري ، هي أن نخلقه بقلوبنا كما خلقه أصحابه بقلوبهم ، وأن نتحد به اتحادا شعريا ، وهذا لا يتطلب إلا هبة من الله . هبة الإحساس ترهفه تجارب الحياة ويسعده خيال قوي يمدنا على أن نحيا حياة غيرنا وكأننا أصحاب تلك الحياة ، وأما ما عدا ذلك من علم ومعرفة فشكلات لن تمس نفسا [illegible] جوهريا . ومتى جعلت المعرفة من الأدب سقراطا ؟!

نحن بحاجة إلى الأمانة العقلية [illegible] دراستنا . إلى التواضع الحق من [illegible] هو إملاء النظريات على الواقع . هو [illegible] الباطل . هو مداراة فقرنا الروحي بمصطلحات العلم الخاوية . هو ظننا أن المعرفة الحقة إدراك للظواهر التي يكتفي بها العلم في عالم المادة ، ونحن نعرفها في عالم الروح . إننا نحارب قسر الفكرة ، نحارب ادعاء العلم ، نحارب التبجح بالمعرفة التي لا تفنى . لنعرف كل شيء ، على أن نكون قادرين على هدم ما نعرف . ولنشع المعرفة في كل ما نقول أو نكتب ، ولكن ليكن الإشعاع من الداخل . ليكن إشعاعا لطيفا رقيقا خفيا ، كذلك الذي ينساب إلى قلوبنا في جوف الليل من محبة الله .

ذلك عن النفس وعلم النفس ، والأمر كذلك في روح العلم وقوانين العلم ، فأنا كما أثور على إقحام قوانين علم النفس الميكانيكية على الأدب ، بينما أدعو إلى الصدور عن معرفة حقيقية بالنفس البشرية ، وأعني ما أقول ، حتى لا نتهم بأننا كجوردان الذي يظل يتكلم النثر عشرات السنين دون أن يفطن لما يفعل . أقول إنني على نفس النحو أدعو جاهدا إلى الأخذ في الأدب بروح العلم ، وأما استطاع قوانينه فلا .

روح العلم غير قوانين العلم . روح العلم ليس إلا ما ذكرت ، وأكرر : أمانة عقلية ، وخضوع للموضوع وتأبٍّ على التصديق ، وتنحية للأهواء ، ثم استقصاء التفاصيل ، وقصد من الأحكام ، وتدعيم للإحساس بنظرات العقل ، واتخاذ الإحساس وسيلة مشروعة للمعرفة بتحديده وتمييزه ، ومراجعته وتحليله ما أمكن التحليل . روح العلم موقف تقفه النفس من الناس والأشياء . وأما العلم فمجموعة من القوانين التي تفسر مادة عالم المادة . [illegible] ظواهر . فأنا أتخذ روح العلم لأنها روح خلقية نبيلة ، وأما محاولة تطبيق قوانين العلم على الأدب ، فقد رأينا [illegible] فرضنا لما فعله برونتيير ووجدنا [illegible] الأدب مفارقات . الأدب كالنفس البشرية [illegible] لن تحيط بكل ذرائه .

المنهج النقدي إذن يتضمن روح العلم ويمتد بالنفاذ إلى حقائق النفوس ، ولكن هذا ليس ما يميزه عن غيره من المناهج ، فروح العلم وفهم النفوس حقيقتان مستقرتان في كل نشاط عقلي منتج ، حتى إننا لا نرى فيهما شيئا يخصصهما أو يمكن أن يخصصهما بالمنهج الأدبي . المنهج النقدي يستمد حقيقته من مادة درسه وهي الأدب ، ولقد قلنا في مقال سابق إن كل منهج لا ينتزع من موضوعه مستمدا مبادئه من ذلك الموضوع ذاته لا يمكن أن يستقيم ، والأدب لا ريب فن لغوي . وتلك حقيقة يجب أن نوضحها لنقدرها .

قالوا : إن الأدب ملكة في النفس . طبع مفطور . فالشاعر يغني كما يغرد الطائر . ولكن هذا أصحيح وذاك مرن . والطائر دوافعه ، وما أطلق الطبع خالقا شيئا بذاته .

أو لا ترى مع ابن قتيبة أنه لا بد للشاعر مهما كان طبعه قويا من مثير « وللشعر تارات يبعد فيها قريبه ويستصعب ريضه » وأن له « دواعى تحث البطئ وتبعث المتكلف » بل هيه وكأنه الجائع . أتحسب أن الشعر خطرات من الإحساس . الخطرات تمرق ، والإحساس العنيف يعقد اللسان . وإنما يكون الشعر عند ما يسكن العنف وتهدأ حدقة العين ، فنستطيع الإبصار . عندئذ نستغل الإرادة ما بقى فى النفس ، ويبدأ الشاعر فى الجهد الذى لا يستقيم شعر بدونه . الشعر صناعة حيثما ما أحكم حتى اختفى . الشعر طبع ودافع وإرادة وجهد وصناعة .

ونحن بعد لا نستطيع دائماً كل ما نريد ، ونحن بعد لا نصل دائماً بجهدنا إلى الكمال ، وموضع المشقة فى الأدب ليس إلا فى القدرة على إخضاع الفكرة أو الإحساس للفظ . قال ديهامل : « كم من ... نساء يتحدثون وسط الجوع فى ... طعام ، فتحدثنى نفسى كل مرة : ... نفسية ، أو تستنطقه علاقة ، أو أن دائماً عبثاً ، ولكنى عاجز عن أن أصوغ ما اكتشفت ألفاظاً . وربما أستطيع فيما بعد أن أصور ما أحسست به ، أما الآن فلا . وأنا أعلم أنى إن لم أصب التوفيق فسيأتى من بعدى غيرى يفيد من تجاربنا وتساعده عبقريته فينجح فى العبارة عما أعيانا » .

إخضاع الفكرة ، أو الإحساس للفظ هو ما يميز الأدب عن غيره من الفنون . الأدب طريقة من طرق العبارة عن النفس ، يعبر باللفظ كما يعبر المصور بالألوان ، والناحت بالأوضاع . ومن ثم وجب أن يكون منهجه منهجاً لغويا ، وأنا أعرف ما يثيره هذا اللفظ فى بعض النفوس من مخاوف ، ففى الناس من يظن أننا سنعود به إلى الدراسة اللفظية التى أفسدت الأدب وسلبته روحه ، ولكن هذا خوف ظالم ، لأن اللغة مستودع كل تراثنا الروحى ، ومن الثابت أننا لا نملك من أفكارنا وأحاسيسنا إلا ما نستطيع إدخاله اللفظ الذى يوضح الفكرة ويحدد الإحساس ، وهذه النظرة الصحيحة هى موضع اعتزازنا بمفكر عبد القاهر .

ينكر عبد القاهر كما رأينا كل مزية فى اللفظ ، وهو فى ذلك يناقض آراء الجاحظ فى الفصاحة ، ولكن هذا فى الحق إنكار مسرف لا نقره ، ونحن لا ندعى أربابنا العصمة ، ولا نضرب دائماً بعصاه ، والذى لاشك فيه أن جرس الألفاظ كما قلنا وقع إيحائى كثيراً ما يعين الكاتب أو الشاعر على استنفاد[1] إحساسه وذلك على أن يسلم من التكلف والصنعة المقترة .

ويثور الجرجانى كذلك على محسنات السكرى اللفظية ... مؤمنين بما يقول ، وعنده « أن المزية ... بحسب المعانى والأغراض التى يوضع لها الكلام ... من بعض واستعمال بعضها مع ... فلا إلا بحسب الموضع وبحسب المعنى الذى تريد ، والغرض الذى تؤم . » ولكنه لا يريد بنقده إلى الأسلوب السطحى الذى لا نقره فيه ، وكتابته تشعرك بأنه قد فطن إلى أن الأسلوب الفنى الجيد هو ذلك الذى يصدر عن صاحبه ، وقد سكنت الفكرة وسكن الإحساس إلى طرق أدائهما ، حقيقية كانت أو مجازية ، سكوناً طبيعياً ، حتى لتحس أن الفكرة أو الإحساس قد ولدا مجسمين فى العبارة ، فلا ندرى أفطن الكاتب إلى الصورة أولاً ، أم إلى موضوعها . أخلق الموضوع الصورة أم خلقت الصورة

(١) سنأخذ مثلاً قول الدكتور أبو شادى :

موطنى إما أبالى أمسنا موطنى ويحضننا سعة محروم وموعود

ثم ردد الشطر الأول عدة مرات تشعر لا ريب برنة فى الصدر ، وكأنه كل مرة تدق زفرة تشق النفس ، ثم تساءل عن مصدر هذا فالقول تجده إلا فى توقيع الشاعر عزيزه البادئة إلى التكرار الثالث بدلاً من السؤال إلى كلمات تستطيع أن تؤدى نفس الوظيفة فى الزرد .

الوفر بمعنى الثلج

كتب الأستاذ المحقق حبيب زيات بحثاً بعنوان «الوفر بمعنى الثلج»[1]، في جملة مباحث خزائنه الشرقية، التي تضم من الفرائد الفوائد ما هو جدير بالعناية والدرس.

وقد ذكر الأستاذ زيات ثلاثة نصوص بصدد هذا البحث، إثنان من كتاب مطبوع لابن الفوطي، وهو «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة» (بغداد ١٣٥١ هـ)، وثالثها من مخطوط في باريس، وهو «ذيل تاريخ بغداد» لابن الدبيثي.

وقد وقفنا أثناء مطالعاتنا على أخبار أخرى في هذا الموضوع، فعنينا بها لما فيها من الفائدة التاريخية من جهة، وإلى أن لفظة «الوفر» بمعنى الثلج لم ترد في المعجمات العربية التي بأيدينا، فهي إذن من […]

وقد جمعنا ذلك إلى ما دوّنه من قبلنا الأستاذ حبيب زيات، ورتبنا الكل على ما يستوجب سياق التاريخ.

قال أبو الفرج بن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧ للهجرة) أنه في سنة ٥١٥ هـ «وقعت أمطار عظيمة، ودامت والتحف بجميع العراق، وأهلكت ما على رؤوس النخل وفي الشجر من الأرطاب والأعناب والفواكه، وما كان في الصحارى من الغلات. فلما كان انتصاف الليل من ليلة السبت وهي ليلة الحادي والعشرين من كانون الثاني، سقط الثلج ببغداد ودام سقوطه إلى وقت سقوطه من الغد الظهر، فامتلأت به الشوارع والدروب، ووقع نحو ذراع، وعمل منه الأحداث صور السباع والفيلة. ودام سقوطه من بين تكريت إلى البطيحة، ونزل على الخليج بالكوفة. وقد ذكرنا في كتابنا هذا (المنتظم) أن الثلج وقع في سنين كثيرة في أيام الرشيد والمقتدر والمعتضد والطائع والمطيع والقادر والقائم، وما سمع بمثل هذا في الواقع والبلد، وبقي في خمسة عشر يوماً ما ذاب، وهلك شجر الأترج والنارنج والليمون، ولم تهلك البقول الأخضر، وما سمع بوقوع الثلج بالبصرة إلا في هذه السنة».

[…] أبو الحسن […] الغزّالي، قال: لما نزل الوفر ببغداد في سنة خمس عشرة (وخمسمائة)، قال بعض شعراء الوقت:

يا صدور الزمان ليس بوفر   ما رأيناه في نواحي العراق

(1) المشرق ٣٧ (١٩٣٩) ص ٥٠٩.

الموضوع. الكاتب الكبير يدرك ما في نفسه تكشّفاً عنها. يدركه مقنوعاً، يستشعر الفكر والإحساس مرتبطاً بعوالم أخرى، وإذا بالفاظ جزء من الإحساس والفكرة، ومن ثم لم يكن هناك محل لأن نخشى اللفظية وتلك لا تكون إلا عند من يدركون مواضيع قولهم إدراكاً مجزءاً من صورها، ثم يحاولون لوضعها في صور لفظ منفصلة عنها، مصطنعة الألصاق، ومن هذا النوع الكثير من المحسنات اللفظية المصنوعة. ولهذا نقول إن الصناعة المقيتة هي تلك التي تحكم حين تتحكم.

لا خوف إذن من أن يعود بنا عبد القاهر إلى اللفظية، وما يجوز أن يرهبنا هذا الخوف فنتخلى عن المنهج الطبيعي في دراسة الأدب، وما دمنا قد فطنا إلى الدور الذي يلعبه اللفظ في خلق مادة الأدب ذاتها، فمن واجبنا أن نأخذ في بحثنا بالمنهج اللغوي، ونحن بذلك نجمع بين عناصر الأدب الإنسانية وعناصره اللغوية، لأن هذه مستودع تلك، مستودع ثمين لا يقل قدراً عما أودع فيه وبفضله — في النهاية — تميز الأدب عن كل ما عداه.

ليست العبرة إذن عند عبد القاهر باللفظ في ذاته وإنما هي بالنظم.

(يتبع) محمد مندور

إذا تمّ ظلكم سائر الحلس فشابت ذوائب الآفاق(1)

وقد أخبرنا ياقوت الحموي باسم الشاعر الذي أنشد هاتين البيتين، قال: هو هبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادي المعروف بالبديع الأسطرلابي المتوفى ببغداد في سنة ٥٣٤ هـ.

وأضاف ياقوت بعد ذلك قوله: «الوقر: الثلج بلغة أهل العراق، قال (البديع الأسطرلابي): ذلك في عام نزل فيه ببغداد ثلج كثير»(2).

ثم ذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٥٣ هـ، أن الخليفة المقتفي بالله «خرج في (شهر) رجب، وأحضر قويدان وخلع عليه، وأضاف إليه عسكراً كثيراً، ونفذ به إلى بلاد البقش، وأقطعه البلاد والقلاع، ثم وصل الخبر بأن قويدان قد انضاف إلى سنقر الهمداني واتفق معه، فبعث الخليفة مملوكاً يقال له قيماز البرشي في جماعة يطلبونهما، فهربا ثم انضافا إلى [illegible] الجوع والوقر(3) فهلك أكثرهم ...».

وبعد عشر سنوات من هذا الحادث، أي في سنة ٥٦٣ هـ، نزل الوقر ببغداد. قال أبو الفرج: «.. وخرج التشرينان بغير مطر، وكثر الموت، وفي صبيحة الاثنين وقع وقر إلى أن طبق الأرض إلى قريب نصف الليل»(4).

وذكر في حوادث سنة ٥٦٧ هـ، أن «في صبيحة الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى، أصبحت الدنيا شديدة البرد، وسقط الوقر على الناس نهاراً إلى وقت الظهر إلا

(1) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٠: ٢٢٦ — ٢٢٢ طبع حيدر آباد)، وقد نقل هذه الرواية كل من ابن الأثير (الكامل في التاريخ ١٠: ٢٢٩ — ٢٢١ طبعة أوربا = ١١: ٢٢٧ بولاق)، وسبط ابن الجوزي (مرآة الزمان ٨: ٢٠٠ طبع شيكاغو).
(2) معجم الأدباء (٧: ٢٤٢ طبعة مرجليوث).
(3) وضع مصحح المنتظم المستشرق كرنكو، في الحاشية الكلمة (كذا)، دلالة على أنه لم يعرف هذه الكلمة.
(4) المنتظم (١٠: ١٨٧).
(5) المنتظم (١٠: ٢٣٢).

أنه كان خفيفاً»(1).

وروى ابن الدبيثي (المتوفى سنة ٦٣٧ هـ) في ترجمة محيي الدين الشهرزوري(2) قال: «من شعره ما أنشدني أبو الفتح محمد بن علي بن المبارك البغدادي، قال: أنشدني لنفسه ونحن جلوس بداره، وكان الوقر ينزل:

وما شاب رأس الدهر غيظاً
لما قاساه من فقد الكرام
أقام يميط عنه الشيب غيظاً وينثر ما أماط على الأنام»(3)

أما ابن الفوطي (المتوفى سنة ٧٢٣ هـ)، فقد روى في حوادث سنة ٦٦٧ هـ أنه «سقط ببغداد وقر كثير كان حكمه في السطوح دون الشبر»(4).

وقال في «سنة ٦٧٤ هـ وقع ببغداد وقر كثير علا على الأرض مقدار شبر»(5).

ويظهر من هذا كله أن لفظة «الوقر» بمعنى الثلج [illegible] أهل العراق منذ أيام الدولة العباسية وقد [illegible] من جيرانهم الفرس لأنها مأخوذة «من (برف) الفارسية، ويلفظها بعضهم (ورف)، والقلب (وفر)»(6).

وقد ورد في معجم (فلرس) الفارسي اللاتيني في مادة (بـ ر ف): «برف: والعربية ثلج» ثم قال: «برف آب: ماء مثلج»(7).

(1) المنتظم (١٠: ٢٣٧).
(2) هو أبو حامد محمد ابن القاضي كمال الدين الملقب محيي الدين المتوفى سنة ٥٨٦ هـ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان (١: ٦٢٥ — ٦٢٦ طبعة بولاق سنة ١٢٧٥ هـ)، وشذرات الذهب (٤: ٢٨٧).
(3) ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد (مخطوط بباريس رقمه ٥٩٢٢، ص ١٩٥).
(4) الحوادث الجامعة (ص ٣٦٢).
(5) الحوادث الجامعة (ص ٣٨٤).
(6) الساعد: وهو معجم الأب أنستاس ماري الكرملي (مخطوط).
(7) Vullers: lexicon Persico-latinum. I. 225.

والثلج بالكردية (بفر) ؛ وقد جانسها أيضاً من الفارسية . قال صاحب المعجم الكردي العربي : « بفر لغة في برف وهو الثلج »(1) .

نختم كلمتنا هذه بأغنية شعبية يرددها أهالي جنوبي العراق ، وفيها إشارة جميلة إلى « الوفر » ؛ فهم يقولون :

شتوانك بيض مثل الوفر(2) بيني
دواليبك يجلي وُفر(3) بيني
لو أن جنحان عندي وفر(4) بيني
أجيبك بساعة الشطوي تمّ

* * *

طيف الخيال

طالعت في هذه المجلة (6) البحث الطريف الممتع للدكتور فؤاد حسنين ، بعنوان « محمد بن دانيال » مؤلف كتاب « طيف الخيال » [illegible] أن أعقب على ما ورد في عبارته التالية :

« ولعلّ أقدم إشارة في الأدب العربي [illegible] التي (أي من خيال الظل) ، حسب رواية صاحب كتاب فوات الوفيات ، الجزء الأول ص ٢٤٨ ، طبع بولاق عام ١٢٨٣هـ ، هي تلك التي جاءت في الأبيات الثلاثة المنسوبة لوجيه الدين ضياء بن عبد الكريم الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي ، والتي ذكرها الأبشيهي في المستطرف باب (في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلّبها بأهلها ، والزهد فيها) ؛ وقد شبهها بعضهم (بخيال الظل) فقال :

رأيتُ (خيال الظل) أعظم عبرة
لمن كان في علم الحقائق راقي
شخوصاً وأصواتاً يخالف بعضها
لبعضٍ وأشكالاً بغير وفاق
تجيء وتمضي بابةً بعد بابة
وتفنى جميعاً والمحرّك باقي(1) » انتهى

قلنا : إن القرن الثالث عشر الميلادي ، يقابله القرن السادس للهجرة ، أي من سنة ٤٩٨ إلى ٧٠٠ هـ ، وهي التي عاش خلالها وجيه الدين المذكور (2) الذي قيل في أبياته الثلاثة المنقولة أعلاه ، إنها أقدم ما ورد في طيف الخيال .

وكنا قد وقفنا على شعر في طيف الخيال ، أقدم من [illegible] من أربعمائة سنة ، إذ أنه يرتقي إلى أواسط المائة الثالثة للهجرة ، وذلك فيما ورد في « الديارات » [illegible] فرغنا من تحقيقه والتعليق عليه [illegible] عبارته :

« [illegible] (لعبادة المخنث) يوماً : والله لأهجونّك . قال : والله لئن فعلتَ ، لأخرجنّ أمّك في الخيال ! »(3)

وقد أورد الحصري القيرواني في « ذيل زهر الآداب »(4) هذه الرواية باختلاف يسير عما نقلناه عن الشابشتي .

ومن المعروف أن وفاة الشاعر دِعْبِل كانت في سنة ٢٤٦ هـ ، ووفاة رفيقه عبادة كانت في حدود سنة ٢٥٠ هـ .

وثمة ملاحظة طفيفة نقولها في تسمية صاحب كتاب

(1) الهدية الحميدية في اللغة الكردية للخالدي (استانبول سنة ١٣١٠ هـ ص ٤٨ و ١٥٣) .
(2) هذا النوع من الأغاني يطلق عليه في العراق « أبوذية » .
(3) الوفر هنا يعني الثلج .
(4) وفر هنا يعني أطير .
(5) وفر هنا مخففة من أفر أي طير .
(6) الثقافة ، العدد ٢٠٨ ، ص ١٩ — ٢٢ .

(1) الصفحة ١٩ — ٢٠ .
(2) ترجمه ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات (١ : ١٩٤ بولاق ١٢٩٩ هـ) دون أن يذكر سنة وفاته .
(3) من المخطوط برلين ، الورقة ٨١ ب .
(4) ص ٣٢ من طبعة القاهرة سنة ١٣٤٣ .

تيودور نولدكه

٢ مارس ١٨٣٦ — ٢٥ ديسمبر ١٩٣٠



لن أنسى ذكريات يوم وفاته فقد كنت طالباً بجامعة ميونخ ، وكنت حديث عهد بألمانيا وبعاصمتها ؛ وشاء الله أن أرى وأسمع عن هذا المستشرق العظيم في معهد من أكبر معاهد تلك البلاد ، ومن علم من أكبر رجالات ألمانيا الذين كرسوا حياتهم في سبيل الشرق والشرقيين ونولدكه ، لم يكن غريباً عني ، وأنا الذي شغفت بدراسة الشرق العربي ، لغاته ، وآدابه ، [illegible] وحديثها ، فكان لزاماً علي أن [illegible] العلامة كلما أتيحت لي فرصة . وقد عرفته ، وقبل أن أرحل إلى بلاده ، عرفته في مصر لا من طريق المصادر الألمانية ؛ فقد كنت أجهل حينذاك تلك اللغة ، بل عن طريق مصدرين انجليزيين عظيمين ، وهما دائرة المعارف البريطانية ، ودائرة معارف الكتاب المقدس ؛ وذلك لأن المستشرقين الانجليز أسندوا إليه تحرير معظم المواد المتصلة بالشرق والشرقيين في المرجعين السابقين .

في ذلك اليوم دخل (هومل) العالم المتواضع والشيخ الذي نيف على السبعين قاعة البحث عابساً مضطرباً ، ولقد كان اليوم عبوساً قمطريرا ، وما كاد يصل إلى مقعده حتى صاح صيحة الحزين المكتئب : مات نولدكه . واستطرد في الحديث عنه ورثائه .

مات زعيم المستشرقين الذي وإن كان في العالم القديم [illegible] يستكثر . مات نولدكه الذي رفع [illegible] رايته زهاء نصف قرن ، مات [illegible] كانت أحياناً في فرد وأحياناً في شخص . نولدكه هو ذلك المستشرق الذي خلق علوماً لم تكن معروفة من قبل ، وهجم على أعوص المشكلات فحلها لنا ووضع أيدينا على حقيقتها ، فهو لم يمت إلا بعد أن ترك للعالم أربعة وعشرين سفراً ، وأكثر من سبعمائة بحث في الشرق ، لغاته وآدابه ، تاريخه ودياناته .

وهذا ليس بمستغرب على شخصية فذة الاستعداد كنولدكه ، وأتيحت لها الفرصة أن تتلمذ على أمثال (هينرش ايفالد) مؤسس دراسة العروض العربي ، وأستاذ العهد القديم واللغات السامية و(دلمان) مؤسس الحبشية ، و(فليشر) عالم العربية ، والدارس للفارسية والتركية و(الاوارد) ناشر الكثير من المخطوطات العربية والسريانية والعبرية ، وما إليها ، وهو اللغوي القدير وعالم الترجمة السبعينية ، و(فلهوزن) النقدي صاحب العهدين القديم والجديد ،

« طيف الخيال » فقد ورد اسمه في المقال الآنف الذكر « محمد بن دنيال » ، بيد أن المراجع التي سلفت ترجمته (1) أجمعت على تسميته « محمد بن دانيال » بإثبات الألف بعد الدال في لفظة دانيال .

ومما كان يحسن التنصيص عليه في هذا المقام ، أن المستشرق جورج يعقوب (Georg Jacob) ، المتوفى سنة ١٩٣٧ نشر سنة ١٩١٠ في بلدة أرلنجن من أعمال ألمانيا ، جانباً من كتاب طيف الخيال لابن دانيال .

(بغداد) **كوركيس عواد**

(١) نذكر منها : فوات الوفيات (٢ : ١٩٠ — ١٩٠) والسلوك للمقريزي (١ : ٩٥٠ بتحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة) والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني (٣ : ٤٣٤ — ٤٣٦) ومنبل الأولياء ومشرب الأصفياء في سادات الموصل الحدباء ، لمحمد أمين العمري (مخطوط عندنا ، ص ٩٢ — ٩٤) والبدر الطالع للشوكاني (٢ : ١٧١) .

ويطل الشعر العربي القديم ، والبيئة الجاهلية ، والتاريخ العربي والإسرائيلي .

أما نولدكه فهو متخصص بحث القرآن واللغتين المندعية والسريانية ، وهو أول من عنوا بالسريانية الحديثة والنقوش السامية ومقارنة لغاتها المختلفة إلى جانب عنايته بآدابها وقصصها . كان نولدكه يجيد سائر اللغات السامية ماعدا البابلية الأشورية واللهجات العربية الحبشية .

وكان يجيد الآرامية إجادة ميزته على سائر معاصريه من المستشرقين في سائر أنحاء العالم ، ونشر في المندعية (جنوب بلاد العراق) عام ١٨٧٥ كتاباً قيماً في قواعدها كما ألف المرة الثانية عام ١٨٩٨ كتاباً في السريانية الحديثة في بلاد كردستان ، واهتم بالسامرية والنبطية والتدمرية وما إليها من اللهجات السامية . أما اللغة العربية فكما أنها هي محور الأسرة السامية اللغوية كذلك كانت محور دراسات نولدكه ، فقد نشر عام ١٨٥٦ [illegible] في القرآن الكريم ، وأساسه [illegible] كتبه في مسابقة أعلنتها جامعة (جوتنجن) [illegible] الأولى ، واعتبر كتابه رسالة منح بمقتضاها إجازة الدكتوراه . وفي عام ١٨٦٠ أعلنت الأكاديمية الفرنسية عن مسابقة عالمية في بحث حول القرآن الكريم فاشترك فيها المستشرق الألماني الذي كان عمره في ذلك الوقت أربعا وعشرين سنة في تلك المسابقة ، ونال جائزتها ، وعلى هذا البحث تعتمد سائر البحوث الحديثة التي تدور حول القرآن وتاريخه ، وبعد ذلك وجه نولدكه عنايته واهتمامه إلى الشعر الجاهلي ، فترجم كثيراً منه إلى الألمانية كما نشر المعلقات الخمس ، ومن ثم انصرف إلى النحو العربي ، فعرضه عرضاً تاريخياً جميلاً . ولم تلهه العربية الفصحى عن العناية باللهجات العربية الحديثة والقصص وكتب التاريخ ، كالطبري مثلا الذي ترجم منه إلى الألمانية الجزء الخاص بتاريخ الفرس والعرب أيام الساسانيين .

ولد (تيودور) في ٢ مارس سنة ١٨٣٦ بمدينة (هربورج) من أسرة ألمانية قديمة تقطن شمال غرب ألمانيا ، وكان أبوه ناظراً لمدرسة البلدة ، ومن ثم رقى فأصبح عام ١٨٤٩ ناظراً لمدرسة (لنجن) الثانوية على الحدود الهولندية . ولما بلغ (تيودور) من العمر خمسة عشرة عاماً أصيب بمرض عاقه عن الذهاب إلى المدرسة نحو ربع عام فشغل نفسه في تلك الفترة بدراسة اللغة العربية دراسة خاصة أعمق بنيتها من دراستها بالمدرسة(١) وفي عام ١٨٥٣ سافر إلى جامعة (جوتنجن) فحببت إليه شخصية الأستاذ (هينريش إفالد) دراسة اللغات السامية فأقبل عليها وأخذها ، كما اهتم أيضاً بدراسة [illegible] والتركية والفارسية الحديثة . وبعد أن أدى امتحان [illegible] عام ١٨٥٦ سافر إلى (ليبزج) حيث كان [illegible] العلامة (فليشر) وبعد فترة [illegible] بها إلى [illegible] لدراسة المخطوطات الشرقية المحفوظة [illegible] مستشرق ألمانيا (فون همر بورجشتال) وبعد أن أتم مهمته رحل إلى (ليدن) عام ١٨٥٧ حيث التقى بمستشرقها (ميخائيل يان دي خويه) وصرف زمنا في دراسة المخطوطات الشرقية بها . وفي عام ١٨٥٨ عاد إلى برلين عن طريق (جوتا) بعد أن حقق الرغبة التي من أجلها قام بهذه الرحلة العلمية ألا وهي جمع مصادره لكتابة مؤلفه الشهير (تاريخ القرآن) . وفي برلين عين نولدكه في مكتبتها ، إلا أنه سرعان ما غادرها عندما أحس أن مدير الدار يريد أن يحد من حريته . وفي (كيل) وفق في تعيينه بجامعتها وهو في الثانية والعشرين من عمره أستاذاً مساعداً بها خلفا للعلامة (دلمان) . ولم تمض على تعيينه أربعة أعوام حتى أصبح استاذاً . لكن نشاطه في تلك الجامعة لم يدم

(١) اللغة العربية تدرس في مدارس ألمانيا الثانوية التي تعنى باللغات القديمة

طويلا وذلك أن الحرب السبعينية التي قامت بين ألمانيا وفرنسا (١٨٧٠) انتهت لصالح ألمانيا فانتزعته حكومته من جامعة (كيل) وعينته في جامعة جديدة هي جامعة (ستراسبورج) لينهض مع زملائه الشبان بالثقافة الألمانية في إقليم (الزاس لورين) وقد ظل تاريخ هذه الجامعة مقرونا باسم نولدكه من ١٨٧٢ — ١٩٢٠ . وهكذا نرى القدر يلعب دورا هاما في تاريخ حياة هذا المستشرق العظيم ، فالحرب السبعينية عينته في استراسبورج ، والحرب الأوربية الماضية أخرجته منها وإن كان ترك تلك الجامعة كان بمحض اختياره ، وذلك لأن نفسه الحرة الأبية رفضت أن تبقى في أرض يرفرف عليها علم غير علم الأمة.

عاد نولدكه عام ١٩٢٠ إلى ألمانيا واختار مدينة (كارلسروه) مستقرا له لكي يكون إلى جوار ابنه الذي كان يعيش هناك . وقد [illegible] نولدكه [illegible] لشيخوخته وبقي بها حتى وفاته [illegible] بعد أن صرف فيها ربيع حياته وأهدى إلى العالم أحسن مؤلفاته فإلى تلك الفترة ترجع كتبه في اللغات السامية وتاريخ الفرس وآدابهم والقساميين وقصة الإسكندر وملحمة الإيرانيين القومية وقصة أحيقار وغيرها . وقد اعترف العالم بجهوده فتسابقت الحكومات الأجنبية وأكاديمياتها العلمية إلى منحه درجاتها العلمية وألقاب الشرف إلا أن نولدكه لم يكن يعتز إلا بلقبين منحتهما له الحكومة الألمانية أولهما لأنه أنقذ طفلا كاد يغرق ، وثانيهما لفضله على العلوم والفنون .

والآن بعد أن فرغت من عرض حياة نولدكه ومؤلفاته أحب أن أضع بين يدى القارئ صورة تبين سر عظمة هذا العالم وقوته وهذه الصورة ليست من عمل زيشتى أو من وحي خيالى بل هي حقيقة مسجلة في مقدمة الطبعة الثانية من الجزء الأول من كتابه في (تاريخ القرآن) الذي نشره (فريدريش شوالى)

فقد أرسل ناشر ذلك الكتاب إلى نولدكه عام ١٨٩٨ خطابا يرغب فيه إليه أن يعيد نشر ذلك الكتاب أو يقترح عليه عالما آخر يراه أهلا للقيام بهذه المهمة ، فأجابه نولدكه (.... فرفضت لأن الأسباب عديدة وذلك لأنه لم يكن في استطاعتي أن أعيد نشر هذا الكتاب في ثوبه الجديد الذي قد يرضيني لذلك اقترحت على الناشر بعد تفكير لم يستغرق زمنا طويلا تلميذي وصديقي البروفسور (شوالى) الذي أظهر ارتياحه واستعداده لتأدية هذه الرسالة . فقد جعل من هذا الكتاب الذي ألفته منذ نصف قرن سفرا يتفق إلى حد ما مع المقتضيات العلمية الحديثة . أقول إلى حد ما وذلك لأن آثار شرور الشباب لا يمكن محوها كلها إلا بإعادة تأليف كتاب جديد [illegible] الكثير من المسائل التي كنت أعتقد قليلا أو كثيرا [illegible] بعد أنها غير مؤكدة ! ....)

دكتور فؤاد حسنين

حكم في القضية رقم ٩٨ عسكرية سنة ١٩٤٢ بحبس كامل محمد مراد لمدة ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه وغلق محله لمدة ثمانية أيام لبيعه لحم كندوز بأزيد من السعر المحدد .

حكم في القضية ٨٢ سنة ١٩٤٢ حلوان ضد عبد الحكيم أحمد حسنين وصبحية عبد الحكيم أحمد وسكنة ادريس بحبس الأول شهرين وتغريم الثانية ٥٠٠ قرش وتغريم الثالثة ٥٠٠ قرش ونشر الحكم في جريدتين وعلنيه وإغلاق المحل يومين لبيعهم خبزا بأزيد من السعر .

الصحافة والأدب في أسبوع :

"... هذا رأيي ، وعليَّ تبعته وحدي ... ..."

في مهرجان العلم

أرأيت كيف يجتمع شعبٌ بأسره حبًّا وعاطفةً على فكرة ؟ وتحتشد أمةٌ بأجيالها ساعيةً إلى غاية ، وتلتقي ثمانيةُ أجيال من التاريخ في رجل ، وتتزاحم خطواتُ عصر من الناس على طريق ، وتتلاقى أشعة النظرات المتباعدة المبعثرة حول منظر ... ؟

لقد شهدت ذلك كله مجتمعًا في موكب الفاروق ، في مهرجان العلم ؛ وكان يومًا من التاريخ !

***

... ودعاني من دعا لأشارك [illegible] في مهرجان العلم بالإسكندرية ؛ وا[illegible] الراقدة في أعصابي وفي دمي ...

الإسكندرية ! إلى من نعني ؟ هذه المدينة التي كانت وكنتُ بها ... لقد فارقتها منذ أربعين شهرًا بلا وداع ولا موعدة ، وخلّفتُ بها ما خلّفتُ من ذكريات ... كيف أعود إليها وحدي ... ؟

... هذه المدينة التي كانت وكان تتشلّق بها في كل مصيف ، وكانت وكان لي فيها شعر وموسيقى ، وكانت وكانت لي فيها قصة تتجدد كل عام على تلوين الناس شخوصها ومناظرها ، وكانت وكنتُ لا أعرف لي فيها ماضيًا آسى عليه ، ولا مستقبلاً أرنو إليه ، ولا شيئًا من معنى الزمان إلا الحاضر الذي تكون فيه اليوم ذكرى تبعث الحنين وتورّث الشوق حين لا أمل في لقاء مشوق ؛ وكانت وكنت بها فصرتُ اليوم نصفًا في التراب ونصفًا يدبُّ على الأرض لا يكاد يحمل نفسه من ثقل ما يحمل في نفسه ... هذه المدينة التي كانت لي يوم كنتُ ... كيف أعود إليها وحدي ... ؟

***

... وهبطتُ إليها مع الليل ، وقال لي رائدي : هذه هي الإسكندرية !

أين ؟ ... إني لا أكاد أرى ، ولا أكاد أسمع ، ولا أكاد أشم ؛ أهذه الإسكندرية ؟ فأين مني هذا الظلام الأسحم ؟ وأين مني هذا الصمت الخامد ؟ وأين مني هذه الريح الفارغة من عطر الهوى والشباب ؟ ... حتى البحر كأنما أخذته إغفاءةٌ فما له بعد الهدير همسٌ ولا حِسّ ، وكأنما ذابت الإسكندرية في هذا الظلام فلم يبق منها في عين من يدبُّ على أرضها إلا خيالُ التخييل وذكريات الشوق !!

[illegible] أين ... ؟ ووقفتُ برهةً أتحسس [illegible] رأيت ، فمضيتُ في الطريق ...

... ولكن دعيني ، دعيني أيتها الذكريات ، إلا تشخصي بي إلى حيث لم أقصد ، ولن أبلغ ؛ دعيني ساعةً لحاضري ، أتشير بي أين نحن ، في الإسكندرية ؛ سيمضي كل شيء إلى غاية ، لا بُدَّ لابد ، حتى خيال التخييل سيعود ذكرى ، فسيّان حقيقةُ الواقع وأوهام التمني ، كل ذلك سيرتدّ إلى الماضي يومًا ، فيتحول جزءًا من التاريخ ، تاريخ الحياة أو تاريخ النفس ؛ ولكنّ ما أنت في غد ؟ حدّثيني من غدك حديثًا قبل أن يصير هذا الغد ؟ أمسًا ، لا تكاد عينُ اليقظان ولا الحالم ؛ إلا في غد موكب الفاروق في مهرجان العلم ...

***

... ورأيتُ كيف أشرق الصبح على الإسكندرية فذاب الظلام إلا بقيةً تغوص في البحر عند الأفق

البعيد ، وكَشَفَتْ المدينة عن نفسها مع الصبح ذكريات الهول والفزع والموت والدمار ، وطوتْ ما كان من ماضيها القريب وما يُطبق عليها من أوهامه مع كل مساء ، وأقبلتْ تنسى ...

وأقبلتُ أنسى مع الأحياء وقد طويتُ ما كان من ذكرياتي في ورقات ...

إنني اليوم هنا ، وهذه الإسكندرية ، إسكندريةٌ جديدة غير ما كانت ! إنها تتأهب اليوم لاستقبال المليك وتتهيأ لموكبه العظيم في مهرجان العلم !

لله أنتِ أيتها المدينة الخالدة ، إنكِ كبعض حسان الأساطير : لا تهرمين أبداً ، وإن لكِ كل يوم شباباً يتجدد ، ولا يزال يتجدد ، ولا تزالين كل يوم في شبابك الجديد فتنةً وزينة وآيةَ حُسن !

مُنذ كم رأتْ هنا ، حاقةً [illegible] واقفة تستحمُّ في ضوء الشمس [illegible] ...

منذ مئات السنين ، بل منذ [illegible] لا يفقد حسنُك ولا يحول ! لأنك شبابٌ يتجدد ، كبعض حسان الأساطير !

***

اليوم موعد المهرجان !

ورأيتُ كيف اصطفت وفود الشعب وفداً وفداً ، وكيف تتسلسل أمواجه من كل حدبٍ فوجاً فوجاً ، وكيف التقى وجوه العلم وعلماء الساحة صفاً صفاً ، وأقبل الملك يخطر في حاشيته بين صفين من شيب وشباب : هنا طلاب الجامعتين وهنا الأساتذة ، وهنالك الشعب المحتشد وراء السياج يموج بعضه في بعض ، لتغلب عاطفته على قواعد النظام ، ويستعلن حبه في الحشد اللجب وفي ازدحام الأقدام !

وأقبل يسعى ...

من ذلك الساعي العظيم ؟ ولمن مَسْعاه ؟

إنه أكرم ساعٍ إلى أعظم مَسْعَى !

إنه المليك يسعى إلى الجامعة ، إلى سُدة العلم وسِدانة الحكمة !

ما أحكمه معنًى لو تعقَّل الشباب !

ما أبلغه رمزاً لو تدبَّر الفتى !

ما أعظمها حادثةً لو أنصف التاريخ !

المُلك ، السلطان ، الأمر النافذ ، الحكومة القاسية ، الجاه الساطع ، الشباب الطامح ، المحبة الآسرة : كل أولئك هنا ، في هذا المكان ، حيث يخطو المليك خطوه الميمون في ساحة الجامعة !

[illegible] يحسن أن يترجم للشباب من معنى كل أولئك [illegible] من أنفسهم ويبلغ بهم ؟

[illegible] وأين ليعرف منهم من لم [illegible] مكان الجامعة ؟

[illegible] التاريخ فيصدق ، ليحدث التاريخ للأخلاف عن بعثٍ من يد الفاروق في العلم ومكانه من أهله ؟

***

واتخذ المليكُ العرشَ تلتقي عنده النظرات وتحتشد الأماني ، ووقف الوزير بين يديه يخطب :

« مولاي !

« ... وقد شاءت الأقدار السعيدة أن يكون حظ الإسكندرية إنشاءً وإحياءً على يد ملكين عظيمين وهما في مقتبل الشباب ؛ فقد أنشأها الإسكندر الأكبر وهو في سن الرابعة والعشرين ، وأحياها فاروق الأول وهو في الثانية والعشرين ... »

« ... كان الملوك الأقدمون يتباهون في إكرام العلماء واختصاصهم بالمودة والعطاء ... فانظر يا مولاي

تحية العرش

ردّدي يا مصر صدّاح الأغاني
وأغاريد الغناء
وارقصي للتاج أنغام التهاني
وانثري لحن الولاء
وانسجي للعرش من درّ المعاني
تاج عزّ وبهاء
واستهلّي اليوم عيداً وارقبي عهداً سعيدا
يوم ميلاد المليك
عطّري يا زهرة الوادي سماك
[illegible]
وانثري يا شمس وادينا [illegible]
مشفقاً من صلة

وانطقي يا أمتي أروع غناء
وارشفي كأس الحياة
شيّدي صرحاً جديداً واذكري عهداً مجيدا
يوم ميلاد المليك
ها هي الأمة من حولك تشدو
بأمانيّ المليك
يحمل النيل على كتفيك سعد
حقّق الآمال فيك
ونداء الشعب من وحيك تغدو
في قلوب تفتديك
[illegible] نشيدا وترى في الأفق عيدا
يوم ميلاد المليك

عبد المسيح جرجس
(كلية الآداب)

كم من العظماء يعيشون في ظلكم الظليل وينعمون بعطفكم الجليل ! »

ووقف مدير الجامعة يخطب :

« ... وها أنت ذا — يا مولاي — تتفضل فتقبل هبة الجامعة ، ثم تتفضل فتسعى إليها لتتلقى منها هديتها ؛ إكباراً لشأنها ، وإعلاءً لقدرها ، وإذناً لنا بأن تمنح من درجات العلم والفخر ما تشاء لمن تشاء ... »

ووقف المليك ليلبس ما تلبسه الجامعة من ثيابها ، ويتقبل ما تهديه إليه من درجاتها ، فلو رأيت لرأيت « تواضع الملك » في أعظم رفعة ، و « ديمقراطية العلم » في أرفع منزلة ، ولرأيت ما يصف التاريخ في عهد للأجيال بعد الأجيال فلا يسأل سائل بعد : ما العلم ؟ وما الجاه ؟ وما السلطان والرياسة ؟ ... إن كل أولئك إلا رمز لمعنى واحد ، هو الجلال فما رأيت من هيبة الملك وجلال العلم في طلعة منظر الفاروق وهو يسعى إلى الجامعة ، ثم وهو يتقبل درجتها ويلبس ثيابها !

ما أحكمه سعياً لو تعقل الشباب !
وما أبلغه رمزاً لو عبّر الفن !
وما أعظمها حادثة لو أنصف التاريخ !
وما أبهاه منظراً وأبلغه أثراً لو وعاه كل ساع إلى الجامعة من شباب الوادي !

« قاف »

من قصص الريف — أقصوصة ريفية

زينب

«إلى فصاحى البدو، وبصير البادية، وواضع الحياة في الريف المصرية مخلصة: إلى الأستاذ النابه محمد فريد أبو حديد، أهدى هذه الأقصوصة الريفية».

على ضفة الجدول الشادي، وفي ظل النخلة الباسقة التي يهزها النسيم، فتساقط الرطب الذي يذهب ببعضه ماء الجدول، ويصيب من بعضه بعض الطير، جلست زينب، تلك الفتاة القروية الحسناء، متكئة على جرتها تستمع في شغف إلى حديث إبراهيم؛ إلى حديث الحب، إلى حديث الشباب في ربيع الحياة: الحياة الحب، والحب الحياة.

هو من [illegible]

وعلى محرابها عزت [illegible]

[illegible]

جلست زينب تستمع إلى إبراهيم يحدثها بحديث قلبه وتستمع إليها إبراهيم فتحدثه بحديث قلبها، حتى دنت الشمس من الغروب، وعاد الفلاحون من كل صوب بماشيتهم إلى القرية يغنون، وعادت الطير من كل ناحية تهزج إلى المشاش، ونظرت زينب فلم تجد رجلاً في حقل يصل محلاً، ولا خطة على ماء تلألأ جرة، فثابت إلى نفسها وقامت متثاقلة إلى جرتها، فشمرت عن ساقيها ودلت بها إلى الماء مذعورة تتلفت، وطفق إبراهيم ينظر في لهفة إلى ساقيها العاريتين الجميلتين يلثمهما الموج، وإلى جرتها يقهقه فيها الماء، وعلت منها الفقاقيع، فأشبهت الغدران، وخجل الحيتان وأغمضت الجفون.

وثبت زينب في خفة الغزال إلى الشاطئ، وسحبت جرتها من الماء، ووضعتها عمارية فناها إلى رأسها، وسوتها على حويتها، ونهضت بها وهي تنظر إلى الرطب المتساقط من النخلة في الجدول يتقاذفه الموج، وعلى الشاطئ يتخاصم عليه الطير كخوزة على شاطئ الكوثر، وظلت كذلك برهة كانت فيها فتنة كل من رآها، ثم نظرت إلى عشيقها نظرة ساحرة، زلزلت قلبه، وزلزلت الأرض تحت قدميه، ثم ولت عنه تهادى بجرتها في طريق القرية بين الأشجار التي يصدح من فوق أغصانها الطير.

ظل الفتى المفتون في ظل النخلة الحبيبة إلى الفتاة الجميلة في الطريق حتى توارت عنه، فعاد ينظر إلى النخلة، وإلى الأطلال الصب تحت النخلة، ظل ينظر [illegible] إليه الحب في كل ما يرى ويسمع، حتى سحبت الشمس [illegible] القرية في [illegible] أذيالها عن الوادي، ولف الكون سكون شامل لا يقطعه إلا أنين ساقية [illegible] شجرة يقطع القلب أساها، [illegible] المناظر أمام عينيه فعاد ينظر إلى النخلة التي تروى في ظلها حديث الهوى فأشجى الطبيعة وولّه الطير.

ظل الفتى المفتون في ظل النخلة الحبيبة ساهماً يستروح نسمات المساء، ويستمع إلى مناجاة الطير حتى سجا الليل وأطبق الظلام، فثاب إلى نفسه ووزع عقله وعاد إلى القرية؛ القرية التي عادت إليها زينب؛ زينب حبيبته، فهل هو ملاقيها هناك؟ ذلك شيء لا يدريه؛ ولكن الذي يدريه، أن أمامه أهوال ليل طويل؛ فهل أمام حبيبته مثل أهوال هذا الليل الطويل؟ ذلك شيء لا شك فيه؛ ألم تكن تبادله النجوى منذ حين؟ ألم تكن تستمع فيحدثها، ويستمع إليها فتحدثه؟ ألم تجمعهما الحب في خلوة فينسيا كل جليل في الحياة إلا هذا الحب؟

لا بد لكل من الفتى والفتاة من سهر طويل يحفو

فيه إلى نفسه فيستعيد ما مرّ في النخلة من أحاديث ، ولا بد لكل منهما أن يمرّ على عينيه ما مرّ عليه في ظل النخلة من صور ، ولا بد لكل منهما بعد هذا السهر أن ينال حظا من النوم ، ومن يدري لعلهما رويا في نومهما أنهما جالسان إلى النخلة ؟ ومن يدري لعلّ النخلة تقتربت منهما حينا وتبتعد عنهما حينا آخر ؟ ومن يدري لعلهما يظلان في هذا الحلم ، وفي غير هذا الحلم حتى يصحوا على أصوات الطير في الفجر ، فتهزهما هزا ، وتدفعهما دفعا حيث يتسابقان خفافا إلى النخلة التي في ظلها الفتيان يلتقيان .

ظلت النخلة ملتقى الحبيبين ، يلتقيان عندها في شغف ، ويفترقان عندها في لوعة حتى كان أصيل من الأصائل ، فإذا زينب آتية من القرية في بعض لداتها من فتيات الريف يحملن جراتهن ساعيات في طلب الماء ، وهن يتحدثن في شئون [illegible] والوطن مرحات في ضحكات عالية يتردد صداها في الفضاء ، حتى يلقين أول ماء [illegible] ، إلا زينب ، فقد أبت أن تملأ منه جرتها ، وقالت لرفيقاتها وهي تواصل سيرها منفردة : الماء جميل عند النخلة ، وأشارت إلى الجهة يدافعها الريح على ماء بعيد .

ظلت زينب تهادى بجرتها في طريقها إلى الورد المحبوب في ظل النخلة الحبيبة حتى أدركتها ريح هوجاء تتقلب في الفضاء وتطغى في أحشاء الشجر ، فجعلت تعبث بثوبها الفضفاض فتجذبه حينا وتلصقه بجسمها حينا آخر فتبدو مفاتن جسمها الجميل : قد ممشوق طويل في غير إفراط ، ممتلئ في غير ترهل ، قد رسم الجمال كما شاء خطوطه وصور أعضاءه ، يشرف على هذا القد من فوق رقبة طويلة ساحرة النحر وجه جميل ، به عينان ساحرتان ، قد جعلهما الله في هذا الوجه لعباده فتنة يضل بهما من يشاء ، ويبعث من هاتين العينين لغة لا يفقهها غير الملهمين من أهل الأدب ، والمتيمين من أهل الحب .

ظلت زينب تسير وهي تتعثر بأذيالها وسط هذه العاصفة الهوجاء التي تزمجر من حولها حتى وصلت إلى المكان المحبوب ، حيث كان فتاها ورفيق صباها وحده في ظل النخلة التي تمايل كالشارب النشوان ، ينتظر على أحر من الجمر حالة ورفيقة صباه ، فهبت عليه مقبلة من جانب كثيب أهيل تتلفت تلفت الظبي المذعور ، فخفق فؤاده خفقانا شديداً ، وجرت ساقاه من حول جسمه ، فجلس وجلست إليه حبيبته يشملهما صمت شعرى رهيب ، هو أبلغ كلام في لغة الوجدان .

وبينا هما في صمتهما الشعرى الرهيب يستمعان إلى أنين النخلة وصفير الريح إذ سقطت عليهما ثمرة فتذوقها الفتى فإذا هي مستعذبة ، وذاقتها الفتاة فإذا هي مرة فلفظتها أيضا ، وعاد الفتى والفتاة إلى صمتهما الأول ، تخاطب عينا كل منهما عين الآخر ، وفجأة انتبهت زينب واقفة لتتروح ريح النخلة وتنظر إلى الوادي وإلى الشمس النازلة ، ثم إلى حبيبها وتبكي ، ونظر الفتى إلى حبيبته الباكية فيرى الجمال في أروع صورة فيبكي بكاءً مرا من بكاء حبيبته التي استطاعت أن تعبر عن سره .

حدقت الفتاة طويلا في وجه الفتى بعينين مخضلتين بالدمع ، ثم ولت عنه تهادى بالجرة إلى القرية ، تاركة إياه في جوار النخلة ؛ النخلة التي شب في ظلها المقدس أسمى ما في الوجود من معاني الخلود ؛ النخلة التي شاهدت قصة هواه ؛ النخلة التي سمعت حديثه ونجواه ؛ ظل الفتى في ظل نخلته الحبيبة يستمع إلى لغة الحب من حناجر الطير ، ويتنسم ريح الحب من شجيرات الحقل حتى أظلم الليل ، فعاد إلى القرية ولم يدر ماخبأ له القدر في الغيب .

في أمسية حزينة من أمسيات الصيف صحت من بيت زينب ضجة يتخللها غناء صبية وزغردة نساء ، ما الخبر قالوا : زينب بنت عمران تزف إلى أحمد بن سعد ؟ زينب تزف إلى غير حبيبها ؟ ! زينب تزف إلى غير إبراهيم ؟ ! يا للعجيبة ! يا لسخرية القدر ! يا لشقاء الحياة !! فيم إذن كانت كل هذه الأحاديث ؟ ما أقساك أيها القدر ! ما أقسكم أيها الناس !

طنبدي — منوفية **شفيق أحمد معروف**

محكمة البلينا الجزئية الأهلية

اعلان بيع عقار في القضية المدنية رقم ٢١٢٧ سنة ١٩٣٨

المرة الأولى

انه في يوم السبت ١٣ مارس سنة ١٩٤٣ الساعة ٨ افرنكي صباحاً بأودة الايقافات بسراي المحكمة .

سيصير الشروع في بيع العقار الآتي بيانه ملك ورثة محمد عثمان عبد أبو ستيت في نظير مبلغ ... ضد ... وتابعين والبي أولاد عثمان أبو ستيت والست زينات على عبد أبو ستيت والست حياظ عثمان عبد أبو ستيت زوجتي المرحوم محمد عثمان أبو ستيت والست روحه عثمان عبد أبو ستيت من نجوع رحمنى والصادر عنه نزع الملكية بموجب الحكم الصادر من حضرة المحكمة بتاريخ ٢٦/١١ سنة ١٩٣٨ والمسجل بمحكمة سوهاج الأهلية في ٢٧–١١ سنة ١٩٣٨ رقم ١٣٩ سنة ٩٣٩ وفاء لمبلغ ٣٢٨ مليم ٣٦ جنيه بخلاف ما يستجد من المصاريف ، وهاك بيان العقار

١ س شيوعاً في ٧ س كائنة بزمام نجوع رحمنى مركز البلينا بحوض أبو عبد رقم ٨ بالقطعة رقم ٩ بأكملها ورقم ٧ الحد البحري ورثة عثمان ابراهيم الفيلكاوي رقم ٧ بطول ٣٦٧ متر والغربي جسر ترعة أبو ستيت بحوى رقم ٢٢ بطول ٧٦ متر والقبلي ايوب ارمانيوس سوغة والسيد محمد حسانه رقم ١٠ بطول ٣٨٤ متر والشرقي وشوانى ورحوات وقدى وسمان رقم ٨ بعرضه بطول ٥٠ س ٥٠٠ متر .

وسيباع العقار قسماً واحداً وقيمة مزايدته على مبلغ ٤٨ ج .

وهذا البيع بناء على طلب مديرية جرجا .

فعلى من له رغبة في الشراء الحضور في الزمان والمكان المحددين وجميع الأوراق موضحة بموجبه القيود بقلم الكتاب لمن يريد الاطلاع عليها .

كاتب البيوع

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — بشارع الكرداسي رقم ٩ بعابدين بمصر —